العلاقة العضوية بين الومضة القصصية والقصة القصيرة جدًا(2)

عباس طمبل، السودان

توطئة:

في هذه المقالة سأكمل ما بدأته في العدد الثالث من مجلة سنا الومضة القصصية الالكترونية (أغسطس 2014) عن العلاقة العضوية بين الومضة القصصية والقصة القصيرة جدًا، وقمت باختيار قصة بعنوان (تمنعٌ) من مجموعة الأديب الليبي جمعة الفاخري (عناق ظلال مراوغة) الصادر عام (2004) وومضة قصصية للكاتب المصري محمد سعيد بعنوان (مشاعر نقدية) نُشرت بكتاب ومضات أغسطس 2014. نجد أن الومضة القصصية والقصة القصيرة جدًا، في الكثير من الأحيان يفصل بينهما زمن الحدث والتوسع في السرد وترك الراوي الحرية للشخصيات التعبير عما بداخلها وتقديم الحدث من زاوية أوسع من الومضة القصصية التي تقضي التكثيف الأشد، فربما تأتي المقدمة والعقدة في جملة واحدة، ويقدم بعدها مباشرة الراوي الحل.

أولا: القصة القصيرة جدًا

تمنع

اِحْتَوَتْهُ بِعَيْنَيْهَا.. اِنْزَلقَ بَصَرُهُ نَحْوَ وَجْهِهَا الْبَهِيِّ.. تَبَاعَدَتْ شَفَتَاهَا عَنْ بَعْضِهِمَا.. تَخَلَّصَتَا مِنْ عِنَاقٍ صَامِتٍ.. سَطَعَتْ مِنْ ثَغْرِهَا ابْتِسَامَةٌ صَافِيَةٌ.. حَاوَلَ أَنْ يَرُدَّ لَهَا الْهَدِيَّةَ .. اِلْتَصَقَتْ شَفَتَاهُ بِبَعْضِهِمَا.. اِزْدَادَتَا تَشَبُّثًا بِالْعِنَاقِ.. تَذَكَّرَ أَنَّهُ نَسِيَ ابْتِسَامَتَهُ فِي مَكَانٍ مَا..

نجد في هذه القصة القصيرة جدا أن البدايةَ حدثيةٌ، فبدأت القصة بالجملة الفعلية التي تتكون من فعل وفاعل ومفعول به، الفعل الماضي (احتوته)، ونجد أن المفعول به هو الرجل الذي عاد عليه ضمير الهاء في احتوته، والفاعل هو تلك المرأة الجريئة التي يعود لها ضمير الهاء في بعينيها. انزلاق البصر قد يحيل إلى فعل آتى رغما عن هذا الرجل وأنه غير مرتِّب لهذه النظرة لوجهها الجميل، ربما يكون مسلوب الإرادة وتعرض لصدمة من قبل ولا يقوى على تحمل صدمة أخرى..

تباعد الشفتان والعناق الصامت يوحيان بأن هذه المرأة هي من امتلكت زمام المبادرة عكس ما يُنظر لها، فالنظرة المتعارف عليها عن المرأة في المجتمعات العربية وحسب العادات والتقاليد تفرض

على المرأة التمنع وعدم المبادرة والإفصاح عن مشاعرها للرجل حتى ولو بالنظر. ونجد أن هذا الرجل حاول رد الابتسامة ومبادلتها العناق، لكنه على ما يبدو مسلوب الإرادة لا يملك مشاعره، أو ربما يتمنع من القرب من هذه المرأة والاستجابة لها لأن مشاعره ليست ملكه، فربما قلبه وعقله في مكان آخر مع من يحب ، وربما هو مشغول بأشخاص آخرين ومكان آخر ولا يستطيع أن يبتسم لها لأنه موجود بجانبها جسدا فقط، وروحه في المكان الآخر وأنه صادق المشاعر لمن يحب، وقد يكون شخصا مهموما بموضوع آخر، ولا يهمه من يقف بجانبه، أو أنه تعرَّض لموقف من قبل كصدمة عاطفية ولا يريد تكرار تلك التجربة. المفارقة هنا ربما لم تظهر بالمعنى المفهوم، حيث لا يشترط وجود مفارقات القصة القصيرة جدا والومضة، فهنا سار الحدث كما تأمله المرأة وحاول الرجل أن يتجاوب معها بالفعل لكن ذكرياته منعته من المواصلة. ولم تحقق الابتسامة ونظرات الاحتواء النتائج التي كانت تتمناها، لذلك عندما أراد أن يبتسم لها أدرك أن سعادته موجودة في مكان آخر عند أشخاص آخرين.

المدي الزمنى للنص في القصة القصيرة جدا ركز على فترة زمنية قصيرة ربما امتدت لعدة دقائق، ما بين الاحتواء بالعيون

والعناق الصامت ونسيان مشاعره في مكان ما وانتهاء الحدث على غير المتوقع وسيره في اتجاه عكسي لتوقعات الشخصية المحورية.

مكان الحدث هنا غير معلوم بالضبط أين هو، لكن يبدو أنه في أي مكان عام يتواصل فيه الناس مع بعضهم البعض، فمن الممكن أن يكون مكتبا أو مستشفى أو حديقة عامة.

زمن الحدث هنا الزمن الماضي.

الناظر لأسلوب السرد هنا يجد القصة مروية بضمير الغائب المفرد، واستعمال هذا الضمير قد يعطي خصوصية للنص، المنظور السردي.

هذه القصة مروية من منظور خارجي لراوٍ لا يشارك في الأحداث، ولا يوجه الشخصيات ولا يفرض عليهم وجهة نظره، بل كأنه يقف في منطقة محايدة وينقل لنا الأحداث بشكل تلقائي، عدا الجملة الأخيرة (تَذَكَّرَ أَنَّهُ نَسِيَ ابْتِسَامَتَهُ فِي مَكَانٍ مَا). وهي خاتمة للنص مروية من منظور داخلي على شخصية الرجل في هذه القصة، لتكشف لنا أنه مهموم وترك فكره في مكان آخر.

العنوان (تمنع) يوحي بأن المجتمع أصابه شرخ في سلوكه وتغير حاله، وقد كانت المرأة هي المتمنعة والخجولة، والرجل المبادر بنظرات الأعجاب والسؤال عندما تعجبه أمراه. لكن هنا في

هذه القصة قد خرقت نظرة المجتمع السائدة للمرأة حسب متغيرات السلوك العام، وهو سلوك معظم نساء هذا المجتمع في الآونة الأخيرة، إذ نجد أن الخجل والحياء قد رحل من وجوه معظم النساء في هذا الزمان، على عكس ما كان في السابق حيث لا تبادر عادة المرأة بنظرات الإعجاب، كانت تنتظر من الرجل أن يبادر.

ثانيًا: الومضة القصصية

مَشاعِر نقدية

قال منكسرًا: لم أعد أمتلك سوى قلبٍ يحبك.

أجابته: إذًا.. فلتُوْصِ إليّ ببيع أعضائك!!

تعكس هذه الومضة القصصية للكاتب المصري محمد سعيد حالة منتشرة في المجتمعات العربية التي لا تعترف إلا بالمال فقط. بدأت هذه الومضة بالبداية الحدثية حيث نقل لنا الراوي الحدث مباشرة على غرار الحوار المسرحي، ونجد أن هذا العاشق المسكين ربما لا يمتلك المال إنما قبله كي يقدمه لهذه المرأة، في سبيل إسعادها. لكن يبدو أن هذه المرأة يسيطر على عقلها طغيان المادة أكثر من اهتمامها بالعلاقات الإنسانية النبيلة.

(لم) حرف الجزم الذي يؤكد أنه لم يعد لديه غير ذاك القلب المخلص الوفي لمن يحب حتى عندما فقد الأمل في هذه الحياة. وربكا كان الانكسار حدث بفعل الصدمات التي تعرض لها وربما لم يستطع الوفاء بوعده لهذه المحبوبة أو الزوجة التي تعشق المال فقط. أو من زاوية أخرى ربما كان هذا الرجل صاحب ثروة ضخمة وخسرها تحت أي ظرف من الظروف نظرًا لمتغيرات كثيرة في المجتمع فرضت عليه هذا الوضع الجديد الذي لم تحتمله الزوجة المادية التي تريد المال ولا شيء غيره، لذلك حتى بعد أن يموت تريد المقابل من أعضائه البشرية.

عندما ننظر إلى المدي الزمني للحدث، نجده يمتد فترة زمنية قصيرة ما بين قوله لم يعد يملكه غير قلبه الجريح وبين إجابة المرأة المتمثلة في طلبها منه أن يكتب لها وصية ببيع أعضائه.

الشخصيات نستشفها من خلال السياق السردي، أنه رجل محب لا يملك سوء قلب منكسر وامرأة – زوجة أو محبوبة – مادية عاشقة للمال.

البداية حديثة حيث ينقل لنا الراوي الحدث من خلال الفعل المنفي لم، فالرجل لم يعد يملك في هذه الدنيا سوى مشاعره الصادقة فقط وحبه لهذه المرأة.

والنهاية حديثة توحي بأن الشخصية المساعدة لا تقبل هذا الحب بل تريد المقابل ولا شيء غيره.

مكان الحدث غير معلوم في النص، لكن يمكننا أن نستدل عليه أنه مجتمع مادي لا يعترف بالأخلاق النبيلة، وامتداد أواصر العلاقات الحميمة، وقد ينتشر فيه الفقر والجهل والمرض، مما ينتج عن ذلك الأنانية وتقديس المصلحة الشخصية.

الناظر للمدي الزمنى للنص، يجده الزمن الماضي غير المحدد.

العنوان (مشاعر نقدية) يوحي بأن المجتمع مادي، وقد يدفع ثمن ماديته أشخاص نبلاء اعتادوا على العطاء بلا حدود وتقديم التضحيات وهو نعت لهذه المشاعر القاسية.

الناظر لأسلوب السرد، يجد الومضة مروية بضمير الغائب المفرد. المنظور السردي منظور خارجي، فعند الوصية لهذه الشخصية ببيع الأعضاء يمكن لأي شخص أن يري هذا المحب فعل ذلك، عدا البداية في قول الراوي (قال: منكسرا) يمكننا أن نقول هنا إ المنظور خارجي، ربما توجد علامات خارجية للانكسار يستطيع أن يراها أي شخص وتظهر على ملامح وجهه، أو نبرة صوته وبالتالي يمكننا أن ننظر إليها على أنها تنتمي للمنظور الخارجي.

وهي مشاعر خاصة بالنقود والانكسار، وهي حالة داخلية وبالتالي في الظاهر منقولة من منظور داخلي على الشخصية، لكن الانكسار والفرح والحزن والغضب وغيرهم يمكن أن تكون لهم في الغالب مظاهر خارجية، تمكن الملاحِظ من أن يستشفها دون أن يدخل داخل الشخصية يعني مثلا: يمكنك أن تقول: "قال غاضبا" وأنت تراه أمامك غاضبا بالفعل، وهنا لا تستعمل المنظور الداخلي وإنما الخارجي لأنك تراه أمامك غاضبا. الراوي هنا ينقل مشهد الحوار مباشرة بدون تمهيد وبالتالي السرد يكون بطريقة مباشرة على غرار المسرح والحوار المسرحي.

العنوان (مشاعر نقدية) هنا عنوان آت نعت لهذه المشاعر السلبية، ومثل عتبة أولى جيدة مهدت بشكل محايد لفهم نص الومضة المستقل عن العنوان عضويا.

المفارقة هنا ربما تكون منظورية بنظر الشخصيتين لبعضهما بعضا، فجملة "فلتوص لي ببيع أعضائك" ربما توحي بأن هذه المحبوبة أو المرأة تعرف طبيعة هذه الشخصية، وهي تنظر للعلاقة بينهما نظرة مادية بحتة، هو يشكو لها همه وهي تستغل هذا الهم، ولا تخفف عنه بل تزيد همه أكثر وتتخلى عنه أو تريد أن يوصي لها ببيع أعضائه وكأنها تستعجل موته.

مراجع

جمعة الفاخري. عناق ظلال مراغة. الطبعة الثانية. الإسكندرية: الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2014.

محمد سعيد. "مشاعر نقدية". ومضات أغسطس 2014. الكتاب الرابع في سلسلة كتاب الومضات الشهرية الالكتروني. سلسلة شهرية تصدر عن مجموعة سنا الومضة القصصية على الفيسبوك. تحرير وتقديم: د. جمال الجزيري. الجيزة: حمارتك العرجا للنشر الالكتروني، 2014. ص 62.